

الحلقة الرابعة

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هل تعلم مستمعي أن لكل عمل تقوم به نتيجة معينة؟ فإذا قمت بعمل الخير تكون النتيجة خيراً عليك. وإذا قمت بعمل الشر، فذلك لا بد أن تحصد نتائج غير صالحة أو مفيدة لحياتك. فمثلاً إذا تملكك عادة التدخين، أو عادة السكر فلا بد أن تكون النتائج ضارة لصحتك. وكذلك إذا عشت حياة الكذب والخداع، أو انغمست في الشر والفساد، فلا بد أن ذلك ينعكس على حياتك وعلى علاقتك بالآخرين.

وكما كتب الرسول بولس: «فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِحَسَدِهِ فَمَنْ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمَنْ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (غلاطية: ٦: ٧-٨). أي أن لكل عمل نقوم به نتيجة محددة. وهذه دروس الحياة العملية التي يتعلمها الإنسان في حياته. فإن زرع الإنسان شراً فلا بد أن يحصد الفساد والهلاك. وإن زرع خيراً فلا بد أن يحصد بركة له. وكما نقول إن لكل شيء ثمنه أو نتيجته. فلا وجود لشيء يضيع هكذا هباء.

إن الطالب المجتهد مثلاً لا بد أن يحصد النجاح الباهر، ويتفوق على الآخرين، بينما الطالب الكسول لن يلقى إلا الرسوب والفشل. وهذا ينطبق أيضاً على عمل الإنسان في جميع مناحي الحياة، فإن اجتهد وسلك بالصدق والأمانة والنزاهة لحصد الخير. وبالعكس إن سار في طريق الشر فلا بد أن يحصد الخيبة والدمار.

وهنا نطرح هذا السؤال الهام وهو: ما هي نتيجة الخطايا والآثام التي نرتكبها كبشر؟ لقد أجابنا الرسول بولس عندما كتب قائلاً: «لِأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (الرسالة إلى رومية: ٦: ٢٣). سنتأمل الآن بهذه الآية المقدسة فابقوا معنا أعزائي.

مستمعي الكريم، كتب الرسول بولس قائلاً: «لأنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتٌ». أي أن الأجرة التي ننالها نتيجة لخطايانا هي الموت. فماذا قصد الرسول بولس بالموت؟ إن الموت يعني في الكتاب المقدس الانفصال. فعندما يموت الإنسان يفصل جسده عن روحه، وهذا ما نطلق عليه بالموت الجسدي. وهناك نتيجة أخرى للخطية ألا وهي الموت الروحي، الذي يعني الانفصال عن الله. إن الإنسان الخاطيء هو ميّت روحياً أي منفصل عن الله الخالق القدوس. ولا توجد أية علاقة بينه وبين خالقه. ومهما أراد الإنسان أن يُرضي الله فهو لا يستطيع لأن آثامه تفصله عنه.

وها هو النبي إشعياء يكتب قائلاً: «بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ. لِأَنَّ أَيْدِيَكُمْ قَدْ تَنَجَّسَتْ بِالدَّمِّ، وَأَصَابِعُكُمْ بِالْإِثْمِ. شِفَاهُكُمْ تَكَلَّمَتْ بِالْكَذِبِ، وَلِسَانُكُمْ يَلْهَجُ بِالشَّرِّ. لَيْسَ مَنْ يَدْعُو بِالْعَدْلِ، وَلَيْسَ مَنْ يُحَاكِمُ بِالْحَقِّ. يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ. قَدْ حَبِلُوا بِتَعَبٍ، وَوَلَدُوا إِثْمًا» (إشعياء ٥٩: ٢-٤).

أجل مستمعي، إننا كبشر خطاة موصولون عن الله القدوس، أي أموات روحياً. وهذا ما أراد الرسول بولس بقوله أن أجرة الخطية أو نتيجتها هي الموت. فأجرة الخطية هي الموت الجسدي وأيضاً الموت الروحي. وهناك أجرة ثالثة ألا وهي الموت الأبدي. إن الإنسان الخاطيء يستحق دينونة الله وبالتالي الهلاك الأبدي.

لكن والشكر لله أن الرسول بولس لم يتوقف عند أجرة الخطية، بل تابع قائلاً: «وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا». إذا كانت أجرة الخطية هي الموت بأنواعه الثلاثة التي ذكرناها، فإن هبة الله أو عطيته التي يقدمها لنا نحن البشر الخطاة هي حياة أبدية عن طريق المخلص يسوع المسيح. إذن إن الله لم يترك الإنسان الخاطيء لكي يموت في خطاياها، بل فتح له باباً للنجاة. وهذا الباب عن طريق المخلص يسوع المسيح، الذي أرسله الله لكي يكون كفارة من أجل خطية الجنس البشري بأكمله. وعندما يؤمن الإنسان الخاطيء بفداء المسيح له، يقيمه الله من موته الروحي، وينال عطية الله بالحياة الأبدية.

مستمعي العزيز، لعلّ السؤال الآن هو: كيف بإمكان الإنسان أن ينجو من أجرة الخطية التي هي الموت؟ الموت بكل أنواعه الثلاثة كما ذكرنا؟ وكيف به أن يحصل على هبة الله بالحياة الأبدية؟ أجابنا الرسول بولس عن هذه التساؤلات عندما كتب قائلاً: «الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» أي كَلِمَةُ الْإِيمَانِ الَّتِي نَكْرُرُ بِهَا: لِأَنَّكَ إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ

أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، خَلَّصَتْ. لِأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَّ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلَّاصِ. لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُخْزَى» (الرسالة إلى رومية ١٠: ٨-١١).

لقد كان الرسول بولس يعالج مشكلة أولئك اليهود الذين أرادوا الاعتماد على الشريعة أي الناموس لكي ينجوا من أجرة الخطيئة وينالوا خلاص الله. فأوضح لهم أن الأمر بحاجة فقط إلى الإيمان، الإيمان بالمخلص الرب يسوع المسيح، وأن الله أقامه من بين الأموات، فعندئذ ينالون برّ الله ويخلصون. لكن لماذا الإيمان بالرب يسوع المسيح فقط؟ لأن المسيح بموته الكفاري على الصليب أخذ عقاب خطيئة الجنس البشري، وقيامته الظاهرة أعلن الله قبوله لكفارة المسيح. وهكذا أصبح الطريق مفتوحاً لكل من يؤمن بالمسيح، أن ينجو من أجرة الخطيئة التي هي الموت، وأن ينال هبة الله بالحياة الأبدية.

إن الناس في عصرنا لا يختلفون عن أولئك اليهود الذين كانوا في زمن الرسول بولس. فمعظم الناس يظنون أن باستطاعتهم أن ينجوا من عقاب الخطيئة وينالوا خلاص الله عن طريق القيام بالأعمال الصالحة، وتأدية الفرائض الدينية. لكن هذا الأمر غير صحيح البتة، لأن الإنسان بحاجة إلى من يكفر عن خطيئته أولاً. ولهذا أتى المسيح إلى عالمنا لكي يكفر عن خطايانا، أي لكي ينال الدينونة عوضاً عنا. وهكذا إن كل من يؤمن فقط بالمسيح وموته البديلي على الصليب، وقيامته من بين الأموات، يغفر الله خطاياه، ويقيمه من موته الروحي، وينقذه من الموت الأبدي، إذ يهبه الحياة الأبدية. فهل تراك مستمعي تؤمن بالمسيح المخلص فتتجو من أجرة الخطيئة؟